تاريخ الإرسال: 2022/11/18 تاريخ القبول: 2022/12/27 تاريخ النشر: 2022/12/30

التنظيم الاجتماعي بولاية مصر الاسلامية من خلال وثائق البردي: دراسة تطبيقية حول بردية "توزيع ميراث" مؤرخة في شعبان 195هـ/ماي 811م.

The Social Organization of the Islamic State of Egypt Through Papyrus Documents: An Applied Study on the Papyrus "Distribution of Inheritance" dated Sha'ban 195 AH / May 811.

د. بوقاعدة البشير
جامعة محمّد لمين دباغين سطيف2
bougaadabachir@yahoo.com
بحوصي عبد الكريم
طالب دكتوراه –المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة.
kbahoussi@yahoo.fr

الملخص: يسعى صاحب هذه الورقة البحثية لدراسة أهمية ورق البردي في وعاء الكتابة التاريخية باعتبارها من المصادر المادية المخطوطة الموثوقة التي تحوز معطياتها على مصداقية عالية؛ لأنّ مضامينها غالبا ما تخلو من التزييف ولا يشوب نصوصها التحريف بشكل مباشر في الغالب الأعم، فضلا عن غناها بالمعارف والروايات والمعطيات التاريخية. أما القسم الثاني من هذه الدراسة، فيمثّل دراسة تطبيقية لمضمون بردية ميراث مؤرخة بسنة 195هـ/ماي 811م، حيث حاولنا ضمنها تحديد طبيعة التنظيم الاجتماعي بولاية مصر الاسلامية مع نهاية القرن الثاني للهجرة (9هـ) في جزئية من جزئياته المتعلقة بقضايا الأسرة ومسائل الميراث ، والتي حتى وإن كان الشرع قد أطّر هذه القضايا ونظّم مسائلها وحدّد مقادير ومستحقات ونصيب كل فرد من أفراد العائلة الوارثة إلا أنّ ذلك لم يمنع من

تاريخ الإرسال: 2022/11/18 تاريخ القبول: 2022/12/27 تاريخ النشر: 2022/12/30

حدوث مشاكل ونزاعات أسرية لسبب الميراث في ظل عدم احترام قيود الشرع وعدم الالتزام بقوانينه وضوابطه وتنظيماته.

الكلمات المفتاحية : البردي، الميراث، مصر الاسلامية، النزاعات الأسرية، الورثة.

Abstract :

The author of this research paper seeks to study the importance of papyrus in the vessel of historical writing as one of the reliable manuscript material sources whose data has high credibility. Because its contents are often devoid of forgery and its texts are not directly distorted in most cases, in addition to their richness in knowledge, narratives and historical data. As for the second section of this study, it represents an applied study of the content of the inheritance papyrus dated in the year195 AH / May 811 AD, in which we tried to determine the nature of the social organization in the Islamic state of Egypt at the end of the second century of migration (9 AH). In part of its parts related to family issues and issues of inheritance, which even if the Sharia had framed these issues and organized their issues and determined the amounts, entitlements and shares of each member of the inheriting family, but that did not prevent the occurrence of family problems and conflicts due to the cause of inheritance in light of the lack of respect for the restrictions of Sharia and the lack of Compliance with its laws, controls and regulations.

Keywords: papyrus, inheritance, Islamic Egypt, family disputes, heirs

مقدمة:

على اعتبار الأهمية اللامعة التي تنطوي عليها الوثيقة التاريخية كلون من الألوان المصدرية المفصلية في تغذية الكتابة التاريخية بنصوصها وتطعيمها بالأخبار والروايات التي تثويها، ومقوم رئيسي لرصد الحقائق التاريخية واستتباع مواطنها وملاحقتها، توجهت أنظارنا إلى مدارسة إحدى الوثائق الاسلامية الغنية بالمعطيات والأخبار التاريخية؛ والمتمثلة في أوراق البردي.

تاريخ الإرسال: 2022/11/18 تاريخ القبول: 2022/12/27 تاريخ النشر: 2022/12/30

ونحن إذ نحمد كثيرا جهود المهتمين دراسة المخطوطات والاجتهاد في إبراز مكانتها في الحضارة العربية الاسلامية، ومفاحصة متونها، ورصد أعدادها ومجموعاتها العالمية في شتى بقاع العالم والشدّ على أيديهم لمواصلة الدرب وتشجيع المؤهلين لذلك على حسن الاقتداء بهم ومواصلة السير على نفس المدار لتغطية مساحة واسعة من هذا الإرث الحضاري الهام بالدراسة والتحقيق، نضم صوتنا البحثي إلى صف تلك الجهود الرامية إلى مباحثة نصوص المخطوطات والاستفادة من كنوزها الخبرية، ورأينا في سبيل بلوغ ذلك اتّخاذ عينة من عينات تلك الوثائق، وفضلنا -باعتبار المداخلة ثنائية- أن نسلّط الضوء على بردية اختصت بتوزيع الميرات؛ وهي تعود إلى نهاية القرن الثاني من الهجرة، وتحديدا في شعبان 195هـ/ ماي 811م.

وسينصب اهتمامنا البحثي بشكل مركّز على مدارسة هذه الوثيقة الاسلامية ومعالجة مضمونها من زاويتين:

أولا: الوقوف بشكل مقتضب عند أهمية هذا اللون المصدري في وعاء الكتابة التاريخية باعتبارها من المصادر المادية المخطوطة الموثوقة التي تحوز معطياتها على مصداقية عالية؛ لأنّ مضامينها غالبا ما تخلو من التزييف ولا يشوب نصوصها التحريف بشكل مباشر في الغالب الأعم، فضلا عن غناها بالمعارف والروايات والمعطيات التاريخية، وبذلك تُقدّم خدمة كبيرة في مسار دراسة تاريخ الدولة الاسلامية وحضارتها.

ثانيا: أما في القسم الثاني من هذه الدراسة، فمثل دراسة تطبيقية لمضمون هذه البردية، حيث حاولنا ضمنه تحديد طبيعة التنظيم الاجتماعي بولاية مصر الاسلامية مع نهاية القرن الثاني للهجرة (9م) في جزئية من جزئياته المتعلقة بقضايا الأسرة ومسائل الميرات، والتي حتى وإن كان الشرع قد أطّر هذه القضايا ونظّم مسائلها وحدّد مقادير ومستحقات ونصيب كل فرد من أفراد العائلة الوارثة إلا أنّ ذلك لم يمنع من حدوث مشاكل ونزاعات أسرية لسبب الميراث في ظل عدم احترام قيود الشرع وعدم الالتزام بقوانينه وضوابطه وتنظيماته. وعليه، كانت هذه العينة التي اصطفيناها وأخضعناها للدراسة والتحليل نافذة مكّنتنا من الوقوف على جانب من جوانب التنظيم الاجتماعي بالدولة الاسلامية في ولاية مصر خلال الفترة الزمنية المذكورة آنفا، لاسيما وأنّ الوثيقة لا تزال بكرا، لم تُخضع للدراسة والتحليل -فيما نعتقد ووسعنا الاطلاع عليه من دراسات وأبحاث في ذات الصدد- من قبل.

2. صناعة أوراق البردي وتهيئتها للكتابة والتدوين عليها:

قادتنا مطالعاتنا بخصوص أهمية ورق البردي وطبيعته وموقعه في حقل الكتابة التاريخية إلى أنّ مادته[1] من المواد التي استخدمت في الكتابة والتدوين منذ أقدم عصور الدولة الاسلامية أي أنّ استعمالها يغوص في أعماق تاريخ الدولة الاسلامية إلى بداياتها الأولى. وأحالتنا الدراسات المتخصصة في هذا الشأن إلى أنّها تصنع من ألياف سيقان النبات المعروف بالبردي، وهو من النباتات التي تنمو في المناطق التي تغمرها المياه العذبة كترع الأنهار وضفافها[2].

ولعله من الأهمية بمكان الاشارة ولو باقتضاب إلى أهم المراحل التي تمر عبرها هذه الورقة لتصبح مساحتها صالحة للكتابة أو يغدو سطحها أهلا للتدوين. إذ في ضوء ما جادت به علينا الدراسات المتخصصة في هذا الحقل البحثي،

تاريخ الإرسال: 2022/11/18 تاريخ القبول: 2022/12/27 تاريخ النشر: 2022/12/30

وقفنا على أنّ هذه النبتة تقطع من أماكن تواجدها أو زراعتها، وبعد ذلك توضع السيقان في الماء بغرض تنعيمها ليسهل نزع القشرة الخضراء للساق، ثم يقطّع اللّب الداخلي إلى شرائح رقيقة بطول الساق، لتوضع الشرائح على سطح خشبي مستوي بعضها إلى بعض حسب الحجم و الطول بشكل متعامد، ثم تضغط الطبقتان بثقل مناسب لتلتصق الشرائح المصفوفة ببعضها البعض بصورة محكمة، ثم تعرض القطع المضغوطة لأشعة الشمس حتى تجف وتصح. وبذلك يتم الانتقال إلى مرحلة التهذيب والصقل، والتي خلالها يتشكل الورق على الهيئة الأنسب للكتابة والتدوين والصورة المثلى لذلك[3].

3. أهمية ورق البردي كمساحة التدوين ومادة للكتابة:

بالرغم من الأهمية الكبيرة التي تنطوي عليها أوراق البردي كمصدر من مصادر التأريخ والكتابة التاريخية إلّا أنها لم تحظ بالرعاية الكافية من لدن أهل البحث والدراسة التاريخية الكفيلة بتغطية كافة الجوانب المتعلق بهذا التراث المادي والإرث الحضاري. وإن كنّا لا نغمط جهود من تصدى بالدراسة لهذه الوثائق وقدّم لنا خدمة جليلة من خلال دراسة مساحة من هذا التراث، والتعريف بقيمته التاريخية، سواء من الباحثين المسلمين أو الدراسة الاستشراقية، فإننا نعتقد أنّ ذلك ليس بكاف، وأنّه جهد لا يفي حق هذا التراث الإخباري الهام بزخمه الهائل، وأنّ من الواجب على أهل البحث – من المتخصصين في هذا الشأن– إيلائه بالغ العناية والتركيز على مباحثة مضامينه، وجمع مكوناته من مختلف مكتبات العالم والمناطق التي لا تزال أوراقه ونصوصه جثث هامدة في رفوف مكتباتها وبخزائن مراكز البحث بها ومتاحفها.

في هذا الصدد، أنجز المستشرق الفرنسي "سلفستر دي ساسي SYLVESTRE DE SACY" دراسة هامة حول البرديات، قام من خلالها هذا المستشرق بالتعريف بوثائق البردي وتحديد أهميته في حقل الكتابة التاريخية. ويعتبر جهده بمثابة أرضية للانطلاق وخوض غمار دراسة هذا الكنز الإخباري. ثم تتالت الدراسات والأبحاث على ضوء هذه الأرضية التي بسطها هذا المستشرق بين أيدي الباحثين؛ معلنة تنامي حجم الاهتمام به، وتطور مظاهر رعايته وحفظه وصيانته ودراسته إلى درجة أن بات علما قائما بذاته[4].

وبالرغم من أنّ بدايات استخدام هذا الورق في الكتابة التاريخية ليست وليدة العصر الاسلامي ولا مخصوصة به، بل جذورها تغوص في أعماق التاريخ إلى عهد الحضارات القديمة كالفرعونية ونحوها، إلا أن توسع استعمال ورق البردي كمادة للكتابة والتدوين كان بعد الفتح الإسلامي لمصر سنة (20هـ/641م)، لاسيما بعد فقه المسلمين خصائص هذا الورق، من مثل: خفّة وزنه مقارنة بغيره من أوعية الكتابة التي ساد استثمارها في شبه الجزيرة العربية،حيث انتشر استخدامه انتشاراً واسعاً في التدوين والتوثيق على غرار استثماره في تحرير العقود الاجتماعية والاقتصادية والإدارية[5]. ولا يفوتنا في هذا المضمار التنويه بجهد أهل البحث من المستشرقين؛ باعتبار أنهم كان لهم –بحكم طبعا الظرفية التي كان المسلمون يخضعون لها ويعيشون تحت سقفها– السبق في النبش عن قيمة ورق البردي وجلاء قيمة هذه النصوص المصدرية ومعاينة قيمتها التاريخية ودورها في الكتابة وحفظ تاريخ الأمة العربية والاسلامية، فقد تحسسوا وقبل غيرهم من

تاريخ الإرسال: 2022/11/18 تاريخ القبول: 2022/12/27 تاريخ النشر: 2022/12/30

المسلمين قيمة هذا التراث المادي، وراحوا يجتهدون في حفظ كنوزه والبحث عن أوراقه واستجماعها ودراستها وتحقيقها، حتى قيل كما يؤكده أهل البحث التاريخي والمهتمين بهذا الإرث الحضاري: أنّ أوروبا أضحت من بين أكبر الخزانات الحافظة لهذا النمط المصدري. ولا يفوتنا في ذات الصدد التنبيه إلى حجم المغالطات التاريخية التي وقعوا فيها عن قصد وعن غير قصد، والتشويهات التي شابت المادة التاريخية التي أنتجوها في ضوء نصوص ورق البردي في مسعى شريحة منهم لضرب الاسلام والكيد للحضارة الاسلامية والطعن فيها[6]. وهو في الحقيقة، ما يقتضي من أهل البحث المسلمين العمل الحثيث لتحقيق المخطوطات ووثائق البردي بعد جمعها ورصد أماكن تواجدها، وتصحيح الأخطاء التاريخية التي وقع فيها من درس متنها برؤية مخالفة لمنهج الدراسة والتحقيق، ورام ضرب المسلمين والاعتداء على هويتهم، وتراثهم، وماضيهم.

ولعل من أبرز ما تنطوي عليه البرديات العربية من أهمية تاريخية كوعاء مصدري، كونها تمنحنا صورة جلية عن جوانب من الحياة الحضارية للدولة الاسلامية، والنظم الضابطة لشؤون المجتمع، على غرار الأساس القيمي الذي تنبني عليه العلاقة الانسانية بين ألوان النسيج الإثني المكوِن للمجتمع الاسلامي على اختلاف أطيافه وتباين مله ونحله، والتي تؤطّرها القوانين والتشريعات الاسلامية، ترسيخا للقيم والآداب السامية، وكفالة والرعاية الاجتماعية، وتقريرا لمبدأ التعايش برعاية الشريعة الاسلامية وقوانينها الناظمة لمنهج الحياة.

4. تحقيق أوراق البردي ومنهج دراسة مضامينها:

حتى لا نقع في فخ التكرار واجترار ما تمّت الاشارة إليه من طرف المهتمين بدراسة وثائق البردي وتحقيق متونها، سنحاول الاشارة بشكل موجز لأبرز المحطات التي تتخلل عملية تحقيق هذه الوثائق ومعالجة مضمونها وفق منهج علمي محكم، وذلك وفق التشريح التالي:

4. 1 تخضع وثيقة البردية في مسار دراستها للمنهج الأثري كمرحلة أولى، ذلك أنّها تتّصل اتصالا وثيقا بعلم الآثار في بدايتها كوثيقة خام للدراسات المتعددة، على اعتبار أنّ أغلب البرديات وجدت في مناطق أثرية أو بالقرب منها، سواء بصورة عفوية من طرف المزارعين والبنائين و نحو ذلك أو استخرجت عن طريق حفريات قام بها متخصصون في علم الآثار، وبحكم أنّها تمثّل مادة أثرية أو احدى بقايا الحضارات السابقة التي تعنى بالدراسة العلمية من لدن أصحاب المنهج الأثري[7].

4. 2 إنّ منهج دراسة المخطوطات وتحقيقها في الحقيقة لا يعتمد على اتخاذ مخطوطة واحدة كأنموذج أو الاقتصار على ذلك، بل يقتضي التنويع واعتماد عدّة نسخ من نفس المخطوط من أجل تحقيقه في مسعى ملامسة مصداقية التحقيق وسلامة المضمون وبلوغ الغرض التحقيق ي غايته وما يتشوفه من اضطلع به. غير أنّ تحقيق وثائق البردي ودراسة نصوصها والاستفادة من مضامينها، لا يستوجب الاعتماد على مجموعة برديات إلا إذا كان ذلك متاحا ومتوفرا بين يدي الباحث، بل إنّ منهج دراستها يسمح للباحث الاكتفاء ببردية واحدة والاقتصار على نسخة فريدة من البرديات لدراستها وتحقيقها[8].

تاريخ الإرسال: 2022/11/18 تاريخ القبول: 2022/12/27 تاريخ النشر: 2022/12/30

4. 3 في ظل تنوع المخزون الخبري الذي تحتويه وثائق البردي كتراث مادي يتسم بقوة المصداقية، أتاح بين يدي أهل البحث فرصة معالجة مضمون الوثيقة من جوانب متعددة واختصاصات متلونة، ومنحتهم الفرصة لتنويع مظاهر الفائدة وتشعب دروبها، وتنوع أبواب الاستفادة من معطياتها، فبر دية واحدة يمكن أنّ تشكل مصدراً خصباً في آن واحد لدراسة فقهية واجتماعية واقتصادية وحتى إدارية. وهو ما يجعلها تتفوق على البعض من الوثائق في القيمة التاريخية والثراء الخبري، وتستدعي تعدّد الطرائق المنهجية الكفيلة بحسن استثمار رصيدها الخبري. مع أنّ ما طرقناه يمكن حصره ضمن الإطار العام لدراسة وثيقة البردي[9].

ومن أبرز المراحل التي تؤطر مسار العملية التحقيقية وجهود دراسة مضمون الوثيقة وتحليل أخبارها ونصوصها، نذكر:

وصف البردية:

حيث يستوجب على من رام تحقيق بردية ودراسة مضمونها أن يشرع قبل ذلك في معاينة الوثيقة ظاهريا؛ بحيث يصفها وصفا دقيقا من شأنه أن يكون بطاقة تعريفية دقيقة لهذه الوثيقة، بحيث يتم التركيز على:

– **القياسات والأبعاد** : من حيث الطول والعرض والحجم السمك، من أجل اعطاء صورة واضحة عن البردية لمن لم يدركها أو يتحصل عليها[10].

– **تحديد طبيعة اللون**: وذلك لأن البرديات تتباين في ألوانها تناغما وطريقة صناعتها، ومدى احترام المشرفين على صناعتها لشروط الدقة في انتاجها والالتزام بضوابط الاتقان. وتكمن أهمية معرفة اللون في تحديد مستوى جودة الورق، وطبيعة المؤثرات الفاعلة في صناعته، والوقوف على حالة البردية من حيث السلامة أو التلف[11].

– **وضعية البردية وحالتها الصحية**: وذلك بهدف ابراز وضعيتها الصحية وتحديد مستويات سلامتها من حيث طبيعة الكتابة هل هي جيدة أم لا؟ وقياس مستواها هل هي متوسطة أم ضعيفة؟[12].

–**المكان والزمان**: وذلك بتحديد مكان تواجد البردية أو مكان العثور عليها، وتعيين تاريخ ذلك، بهدف تسهيل عملية دراستها، خاصة ما تعلق بتحديد البيئة الجغرافية التي وُجدت بها، ومن هو الذي وجدها؟ وكيف وُجدت؟[13].

– **نوع الخط والحبر** : يلعب تحديد نوع الخط الذي كُتبت به البردية والحبر الذي تم اختطاط مضَمونها به دورا هاما في منهجية دراسة مضمونها واستثمار رصيدها الخبري. ومن ثمّ كان من الضروري فقه أنواع الخطوط التي دُونت بها البرديات الخاضعة للمعاينة[14].

– **أمنكة الحفظ والجهات التي أشرفت على نشر البردية**: وهذا الأمر لا يقل أهمية عن المراحل السابقة، لأنه من شأنه أن يضع الدارس لمادتها على دراي ة بالشخص والمؤسسة التي تحتضن تلك الوثيقة، وسبل الحصول عليها، ومعرفة الطريقة التي وصلت بها تلك الوثائق إلى أولئك الأشخاص أو المؤسسات[15].

– **إعداد الورقة وتهيئتها للدراسة:**

تاريخ الإرسال: 2022/11/18 تاريخ القبول: 2022/12/27 تاريخ النشر: 2022/12/30

وذلك من خلال التقيد بالأمور التالية:

- القراءة الفاحصة والدقيقة للوثيقة مع الاستعانة بجدول الحروف والبرنامج الرقمي الذي طوره أهل الاختصاص لملامسة قراءة مثلى للمضمون من خلال المسح الضوئي وإدخالها للحاسوب، حيث يقوم البرنامج المزود بقاعدة بيانات مخصصة، بفك رموز البردية، مما سمح بتصنيف و قراءة العديد من البرديات العربية و غيرها.
- الإشارة إلى موضوع البردية، وذكر تاريخها إذا كانت مؤرخة، والاجتهاد في ضبطه ولو بصورة تقريبية إن لم تكن مؤرخة، مع تحديد أول نص البردية وآخره[16].
- إعادة كتابة مضمون البردية بخط واضح، وتحديد كل سطر برقم حسب ترتيبه في البردية.
- استخدام الرموز حسبما تقتضيه الحالة أو تتطلبه خلال عملية كتابة نص البردية[17]. وتستخدم الرموز على النحو التالي:

[..] دلالة على أن الكاتب شطب بقلمه الكلمات والحروف الداخلة في هذين القوسين.

< > يدلان على أن الكاتب قد أغفل كتابة بعض الحروف أو الكلمات.

( ) يدلان على أن هناك كلمات كُتبت في الأصل بشكل مختصر.

[ ] يدلان على أن هناك حروف مفقودة في الأصل.

{ } يدلان على أن هناك حروفاً يجب حذفها في الأصل.

أما ما تعلّق **بمنهجية دراسة مضمون البردية**، فيمكن التوقف عند محطاته بشكل موجز وفق التفصيل الموالي:

– تحديد كل من: الموضوع، التاريخ، مكان العثور عليها، رقم تسجيلها، مقاس البردية، قوامها، مكان نشرها، وحالتها الصحية.

– كتابة نص الوثيقة مع الإحالة لكل مصطلح أو علَم، أو ما يستحق الشرح و التفسير في الهامش، مع استخدام الرموز التي أشرنا إليها سابقا.

– الإشارة إلى موضوع البردية من زواج، طلاق، ميراث، خلع، بيع، كراء ونحو ذلك[18].

– القراءة المعمقة لمضمونها.

– إبراز الدلالات اللفظية لكل مصطلح.

– إبراز أهمية المضمون.

– الإشارة إلى طبيعة الحدث المدون.

– التعريج على البيانات الواردة، كالبسملة والجمل الافتتاحية وأسماء المدن والأفراد وحتى شروط العقد إذا تعلق الأمر بالعقود، و الأثمان إذا تعلق الأمر ببيع أو شراء وغيرها كأسماء الشهود، القبائل، القضاة والولاّة[19].

تاريخ الإرسال: 2022/11/18 تاريخ القبول: 2022/12/27 تاريخ النشر: 2022/12/30

– تحديد الفروق النسبية أو الجوهرية بين نصوص وثيقة البردية الواحدة، مع الإشارة إلى مواضع التمفصل بينها وبين مادة البرديات المختلفة[20].

– المراجعة والتدقيق في مفردات البردية وألفاظها ومقارنتها بنظيراتها لمعرفة هل شاب الوثيقة الأصلية نقص، من أجل تلافي التأويل على الوجه غير السليم، وذلك بالبحث في نظيراتها من الوثائق، أو الاستعانة بغيرها لتحديد التأويل السليم أو على الأقل الأقرب إلى الحقيقة التاريخية.

– التعقيب على نص البردية. فالدارس يجتهد من خلال التعقيب في تدقيق النظر ببعد تأصيلي للمسائل التي تضمنها نص البردية بالعودة إلى مصادرها الرئيسة. وعلى اعتبار أنّ البرديات محل الدراسة هي البرديات العربية في مصر الإسلامية، فإن أمهات المصادر التي يستنجد بها بشكل أساس، هي القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة والتي لا غنى عنها في تحقيق المسائل الواردة، خاصة ما تعلق منها بباب المعاملات[21].

5. دراسة وتحليل مضمون البردية التي بن أيدينا " توزيع الميراث":

5. 1 بطاقة تعريفية بالبردية:

– **موضوع الوثيقة:** توزيع ميراث.

– **تاريخها:** شعبان 195هـ/ ماي 811م.

– **رقم تسجيلها:** 172

– **مكان العثور عليها:** مجهول.

– **جهة نشرها:** سعيد مغاوري مُحَمَّد: البرديات العربية في مصر الإسلامية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1998، ص331.

– **قوامها:** 31 سطر ا.

– **مقاسها:** الطول 44 سم ×العرض 9 سم.

– **مكان حفظها:** دار الكتب القومية بالقاهرة

5. 2 وصف الوثيقة:

الوثيقة الخاضعة للمعاينة: ورقة بردي بلون بني فاتح، قوامها جيد، و تبدو متقنة الصنع، من حيث التصاق الألياف و تشابكها، ولم تتعرض كذلك للطي. والكتابة فيها واضحة نسبياً باستثناء الجزء العلوي، و بعض الأجزاء السفلى. و عموما فالبردية بها العديد من التمزقات غير أنها لا تؤثر على قراءة باقي النص.

3.5 نص البردية:

1. ... الهم[ـذ]اني[...] و كتب ... بن
2. [ ] الـــ[ـــمكري] شهادته بأمره و محـ[ـــضـــ]ـره ...

تاريخ الإرسال: 2022/11/18 تاريخ القبول: 2022/12/27 تاريخ النشر: 2022/12/30

3. [ ] البقال بن ... [أ] ...
4. شهد ... بن راشد ... الـ[ـر] على إقرار ... [...] و على إقرار [...]
5. ابنة عبيدة بن عبد الله [...] في شعبان سنة خمس و تسعين
6. و مائة و شهد ... حـ[ـر]
7. القرشي على مثل ذلك
8. و لا يعرفان بنات عبد الله ابن [...]
9. و لم يدفعها بنو عبيدة بن عبد الله [...]
10. هؤلاء لم يكن لهم مال ...[و ا]
11. إن تركه إليهن عن [...]
12. لهن قد[ا]ر القاضي عبرو بن أبي بكر
13. من ذلك ما عمل و أنفذ ...
14. عبد الله بن [...]
15. مما في هذا الكتاب
16. بني عبيدة بن عبد الله
17. هذا في شعبان من سنة خمس و تسعين و مائة
18. شهد حمزة بن زياد بن ... سـ[ـر] و كتب شهادته بأمر القاضي
19. عمرو بن أبي بكر و عـ[ـر...] بن .... الـ[ـر]
20. و كتبه بأمر القاضي عمرو بن أبي بكر ...
21. و شـ[ـهد] ... بنـ[ـالد]ـعمر ... الـ[ـبر] و كتبه
22. و يوسف بن يربع ...الـ[ـبر] و كتب شهادته
23. بأمر من القاضي عمرو بن أبي بكر ... و بن...
24. القرشي و كتب شهادته بأمر القاضي عمرو بن أبي بكر
25. في شعبان من سنة خمس و تسعين و مائة ... [و]
26. بن مسلم السلمي و كتب شهادته بأمر من القاضي عمرو بن أبي بكر في شعبان من سنة
27. خمس و تسعين و مائة ... و بن .. و الـ[ـر] و كتب شهادته
28. بأمر القاضي عمر بن أبي بكر ... و [بن] ... و كتب
29. شهادته بأمر القاضي عمرو بن أبي بكر ... و بن

تاريخ الإرسال: 2022/11/18 تاريخ القبول: 2022/12/27 تاريخ النشر: 2022/12/30

30. أبي غـ[ـيـ]ـاث الأزدي و كتب شهادته بأمر من القاضـ[ـيعمـ]ـر بن
31. أبي بكر

تحليل نص البردية:

البردية التي بين أيدينا: بردية عربية موضوعها عبارة عن صك توزيع ميراث و هي محفوظة حالياً في دار الكتب القومية بالقاهرة برقم السجل 172 مؤرخة بعام (195هـ/ 811 م) كما تمّت الإشارة إليه آنفا.

تكمن أهمية هذه البردية في كونها ترسم جانباً هاماً من العلاقات الاجتماعية وتمنحنا صورة حية عن التنااجتماعي بشكل عـ ـام والأسري بشكل مخصوص، في نظم الدولة الإسلامية وبالضبط في ولاية مصر. كما تمثل هذه البردية توثيقا دقيقا لعملية توزيع الميراث حسبما نصت عليه الشريعة الاسلامية وبشهادة القاضي نفسه والساهر على كتابة البردية وعملية التوزيع والمشرف عليها؛ إذ بأمره وتوقيعه وفي محضره تمّت عملية التوزيع، وتم إثبات كل ذلك في هذه الوثيقة الضابطة والمؤرخة بالشهر والسنة، تفاديا لأي طعن في أحقية أي أحد أو الاعتراض على ذلك.[22]

ومما يلفت انتباهنا من خلال نص الوثيقة أنّ مضمونها لم يتضمن عبارات الافتتاح التي عهدناها في غيرها من البرديات التي وقفنا على نصوصها كالبسملة و غيرها، في حين برزت قضايا مختلفة، كقضية الإشهاد إذ تجاوز عدد الشهود في هذه البردية 13 شاهدا، و كل كُتبت شهادته بأمر من القاضي و في حضرته ومجلسه.

وطبيعة موضوع البردية عموما، و إن كان في الميراث، إلا أنه يختلف عن السابق كون الذي بين يدينا ليس تظلّما أو شكوى، بل هو توثيق لتوزيع الميراث بين الورثة، وهو يشير بشكل واضح إلى تولي القاضي بنفسه الإشراف على توزيع الميراث، وحرصه الشديد على كتابة شهادة الشهود، ودليل ذلك هو تكرر عبارة " و كتب شهادته بأمر القاضي" وهذا يشير بشكل واضح إلى أن أمر الميراث كانت له أهمية بالغة، لما يرتبط به من حقوق، و على العموم البردية تحمل المعطيات التالية:

الهالك: عبيدة ابن عبد الله

الورثة: بنات و بنو عبيدة ابن عبد الله

القاضي: عمرو ابن أبي بكر

الشهود:

1. الهمداني.
2. ابن فلان المكري.
3. ابن فلان البقال.
4. ابن راشد.
5. ابن فلان القرشي.

تاريخ الإرسال: 2022/11/18 تاريخ القبول: 2022/12/27 تاريخ النشر: 2022/12/30

6. حمزة ابن زياد.
7. فلان ابن فلان.
8. فلان ابن المعمر.
9. يوسف ابن يربع.
10. ابن فلان القرشي.
11. ابن مسلم السلمي.
12. فلان ابن فلان.
13. فلان ابن فلان.
14. ابن أبي غياث الأزدي.

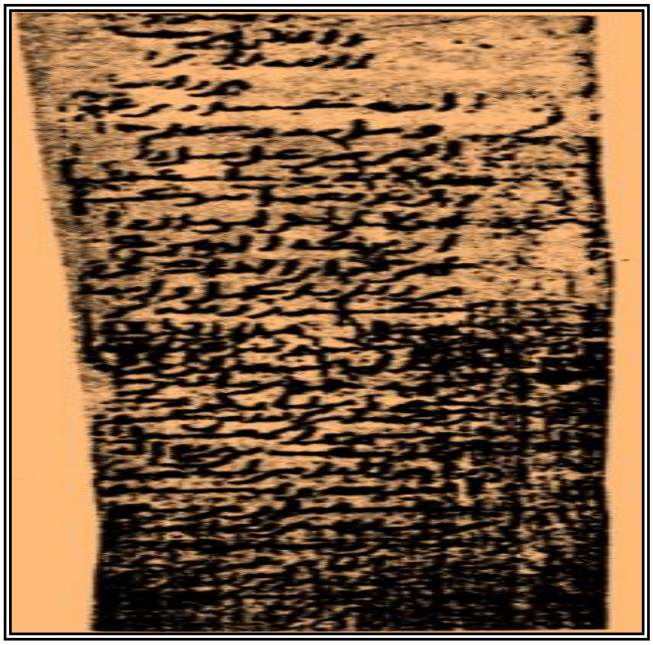

بردية توزيع ميراث مؤرخة لشهر شعبان من سنة 195 هـ / 811 م

التعقيب على نص البردية:

نلاحظ من خلال مضمون البردية، أنها لم تستفتح كما هو معهود في غيرها من البرديات التي اختصت بنفس الحقل أو طبيعة الموضوع، فكانت بدايتها على غير العادة وذلك بذكر بعض الشهود، وأول ما ذُكر في النص اسم " الهمداني[23]" أو " الهمداني[24]".

تاريخ الإرسال: 2022/11/18 تاريخ القبول: 2022/12/27 تاريخ النشر: 2022/12/30

ونعتقد بأن خلو النص من الإعجام يصعب من تحديد أيُّ اللفظتين هو المقصود، غير أنه بالعودة إلى أصولهما، يأخذ بيدنا لإحتمال أن الأصح هو الهمداني بالدال بدل الذال، لأن همدان قبيلة عربية من القحطانيين، جاءت مع الفتح الإسلامي لمصر، وسكنت الاسكندرية والجيزة و بلاد الأشمونين،[25] على عكس همذان الذين يحتمل وصولهم إلى مصر في القرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي، مع توسع سطوة السلاجقة على الدولة العباسية[26]. وعلى هذا الأساس، نميل إلى أن اسم الشاهد الأول هو " الهمداني" كون الوثيقة ترجع إلى القرن الثاني هجري/ الثامن ميلادي.

والجدير بالملاحظة أن القاضي " عمرو ابن عبد الله" هو من أشرف بنفسه على كل ما في هذا الكتاب، بداية بشهادته و محضره و توقيعه، إلى جانب أمره لكل شاهد بكتابة شهادته. ومن المحتمل أن يكون بعض الشهود قد كتبوا شهادتهم بأيديهم. و هذا فيه دلالة على أن هؤلاء الشهود كانوا يعرفون القراءة و الكتابة، و ربما هم شهود دائمون في مجلس القاضي.

كما من الأهمية بمكان التنبيه إلى أنّه تم تسجيل الكتاب ثلاث مرات، وجاء ذكر التاريخ في كل مرة ليفصل بين الشهود في مستهل النص، ثم بعد إنفاذ القاضي لحكمه، وكذا بعد ذكر بقية الشهود. ومعلوم أنّ ذكر التاريخ بهذه الطريقة لا يدع مجالا للتحايل والتدليس وحتى التراجع.

ونّص البردية يعالج إثبات الورثة من حيث الأصول والفروع، كما يثبت وجود المال من عدمه، وذلك في قوله " **هؤلاء لم يكن لديهم مال... إن تركه إليهن...**". و لم يتضمن النص الذي بين أيدينا أسهم الورثة من التركة، بل اكتفى بذكر أن القاضي قدّر المال و أعمل فيه القسمة، و أنفذ ذلك. و يُحتمل أن كتابة هذا النص جاءت بعد انفاذ القاضي للقسمة بين الورثة.

السياق التاريخي:

توافق سنة 195هـ/ 811م ولاية جابر ابن الأشعث (توفي 196هـ/ 812م) الذي ولّي مصر من طرف الأمين ابن الرشيد، ولم يدم حكم جابر ابن الأشعث إلا عاما واحد ثم ما لبث أن اندلعت فتنة الأمين و المأمون، وطالت مصر وامتدت إلى مجالها، فقاتله بعض المتعصبين للمأمون واخرجوه من مصر[27]. وهو ما يجعلنا نتساءل عن حال القضاء وانعكاسات ذلك على خطته، و هل كان هذا الاضطراب السياسي قد طال القضاء وأثر على المشرفين عليه؟

يذكر الكندي في كتاب القضاء أنه في هذه السنة ولي القضاء بمصر رجل من أصحاب الأمير جابر ابن الأشعث يقال له ابراهيم بن البكاء، و ما لبث الأخير أن خلع بعد أن وثب الجند على جابر وخلعوه. ولم تستمر ولاية ابراهيم ابن البكاء على القضاء في مصر سوى ستة أشهر،[28] ما يدفعنا أيضا للتساؤل حول قرارات القاضي نفسها، فيما إذا كان حكمه قد تأثر بالأوضاع العامة أم لا؟ و هل ابتعد القضاء عن مساره الطبيعي أم استمات القائمون عليه في التمسك بأصول الشريعة وقواعدها وتنظيماتها في مسار أدائهم لواجبهم على رأس هذه الخطة؟

تاريخ الإرسال: 2022/11/18 تاريخ القبول: 2022/12/27 تاريخ النشر: 2022/12/30

حقيقة يصعب الجزم بحال القضاء في القرن الثاني للهجرة، غير أن وجود بعض الإشارات في المصادر، التي تضاف إلى تلك الإشارات التي نستنتجها من أوراق البردي العربي، يمكن أن نرسم تصورا نسبيا وربما أكثر وضوحاً حول جهاز القضاء في القرن الثاني هجري/ الثامن ميلادي.

فبداية، نلاحظ أن القضاء في عصر الخلافة الراشدة، لم تحدث فيه حوادث تستدعي كتابة الأحكام، لأن المتخاصمين كانوا أشبه بالمستفتين، فإذا أظهر القاضي حكمه اقتنعوا به غالباً، و لكن جدَّ بعد ذلك من الأمور ما لفت نظر القضاة إلى كتابة الأحكام في الصحف.[29]

ويذكر الكندي في كتاب القضاة أن سليم ابن عنز قاضي مصر من طرف معاوية بن أبي سفيان اختُصم إليه في ميراث، فقضى بين الورثة ثم تناكروا، فعادوا إليه فقضى بينهم وكتب كتابا بقضائه وأشهد فيه شيوخ الجند، فَكان أول القضاة بمصر سجل سجلّاً بقضائه.[30]

مما سبق، يبدو أن القضاء بدأ يفقد بعض هيبته بعد ارتباطه بالسياسة وأصبح المتخاصمون أكثر جرأة على الإنكار لأحكام القاضي. ولعل هذا ما أثبته نص البردية السابق، والذي أشار صراحة إلى إنكار احدى لأخوات لحقوق بقية الإخوة من التركة رغم الإشهاد.

أما قضية الإشهاد في حد ذاتها، فقد تطورت بشكل ملحوظ، وفي البردية التي بين أيدينا دليل واضح على عدد الشهود الكثير، وهذا يشير إلى كثرة شهادة الزور والتدليس في الشهادات. ومن هذا نجد أن القضاة أصبحوا يتخذون مجلسا للشهود وفي هذا يذكر السيوطي في حسن المحاضرة أن أول قاضي بمصر اتخذ لمجلسه الشهود هو أبو عبد الرحمن مُحَمَّد بن مسروق الذي ولاه هارون الرشيد على قضاء مصر سنة 177هـ/ 793 م، وأول قاض دون أسماء العدول في ديوانه بمصر هو القاضي مالك أبو نعيم اسحاق بن الفرات، و كانت ولايته على مصر من طرف الرشيد أيضا.[3231]

مما سبق نستنتج أن القضاء تغير مساره نسبياً و يتضح ذلك من خلال:

أولاً: أن القاضي في العهد الراشدي، كان يحكم بما يوجبه الاجتهاد، إذ لم تكن المذاهب الأربعة التي تقيَّد بها القضاة قد ظهرت بعد، فكان القاضي يستنبط الأحكام بنفسه من الكتاب والسنة أو الإجماع، أو يجتهد في الحكم.[33]

ثانياً: أن الـ قضاء قبل لم يكن متأثراً بالسياسة، إذ كان القضاة مستقلين في أحكامهم ولا يتأثرون بميول الدولة الحاكمة، وكانت كلمتهم وأحكامهم نافذة حتى على الولاة وعمال الخراج.[34]

ويبدو لنا من خلال العرض السابق وفي ضوء ما ألمحت إليه المظان المصدرية، أنه منذ الفتح الإسلامي لمصر، إلى حدود الربع الأول من القرن السادس لم يولّ قضاء مصر إلاّ شخص واحد و ينيب عنه في أقاليمها من يمثله[35]،

---

[1]. البردي نبات مائي من الفصيلة السعدية، يبلغ ارتفاع سيقانه في الهواء إلى نحو متر ونصف، ومن أشهر المناطق التي ينمو بها مناطق المستنقعات بأعالي النيل بالبلاد المصرية. الضيف شوقي، 2004، ص83.

[2]. مغاوري سعيد مُحَمَّد (1998)، البرديات العربية في مصر الاسلامية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ص53.

تاريخ الإرسال: 2022/11/18 تاريخ القبول: 2022/12/27 تاريخ النشر: 2022/12/30

[3]. المرجع نفسه، ص53.

[4]. أدولف جروهمان (2010)، أوراق البردي العربية، تر، توفيق اسكاروس، ج1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ص3-9. ولئن كانت الفترة الاسلامية تعدّ فترة خصوبة استخدام ورق البردي كوعاء للكتابة والتدوين، فإنّ ذلك لا يلغي امتداد جذور الاستخدام في أعماق التاريخ المصري أو ينفيها؛ ذلك أنّه وعلى ضوء ما أثبتته النقوش المرسومة على المعابد المصرية الراسمة لأشكال هذا النبات والسفن التي صنعت من سيقانه كتلك التي احتفظت بها جدران معبد الدير البحري والوثائق الفرعونية المكتوبة على ورق البردي بالهيروغليفية، تثبت أنّ تاريخ الاستخدام كورق للكتابة يغوص إلى حوالي 2000 سنة من تاريخ مصر، كما استخدمه العرب قبل الإسلام إلى جانب الرق، وأكتاف الحيوانات، والعسب، والفخار والعظام كمادة للكتابة والتدوين الشامي أحمد (1978)، أوراق البردي العربي مصدر أصيل للتاريخ الاسلامي، مجلة المؤرخ العربي، العدد9، ص118.

[5]. أحمد عبد الرزاق أحمد (1999)، تاريخ وآثار مصر الاسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص59.

[6]. سزكين فؤاد (1991)، تاريخ التراث العربي (مجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم)، تر، مُحَمَّد فهمي حجازي، جامعة مُحَمَّد بن سعود الاسلامية، الرياض، ص89.

[7]. حيدر كامل (1995)، منهج البحث الآثري والتاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ص16.

[8]. رمضان عبد التواب (1985)، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص60.

[9]. أدولف جروهمان، المرجع السابق، ج1، ص7.

[10]. المرجع نفسه، ج1، ص7.

[11]. مغاوري، البرديات العربية في مصر الاسلامية، ص62.

[12]. أدولف جروهمان، المرجع السابق، ج1، ص78.

[13]. حيدر كامل، المرجع السابق، ص38.

[14]. القلقشندي أحمد، (1922)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج6، دار الكتب المصرية، القاهرة، ص167.

[15]. دل ديورانت (1988)، قصة الحضارة، تر مُحَمَّد بدران، مج1، ج4، دار الجيل، بيروت ، ص154.

[16]. الدالي عبد العزيز (1989)، البرديات العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص11.

[17]. أدولف جروهمان، المرجع السابق، ج1، ص7.

[18]. بن موسى جميلة (2010)، جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر الاسلامية في ضوء أوراق البردي العربي والكاغد والرق (2-5هـ/8-11م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر2، الجزائر، ص92.

[19]. مغاوري، البرديات العربية في مصر الاسلامية، ص118.

[20]. بن موسى جميلة، المرجع السابق، ص92.

[21]. مغاوري، البرديات العربية في مصر الاسلامية، ص118.

[22]. مغاوري، البرديات العربية في مصر الإسلامية، ص 201.

[23]. الهماذى، سرعة الجري، و همذان مدينة إيرانية جنوب طهران. أنظر: المنجد في اللغة العربية: المرجع السابق، ص 597.

[24]. همداني بالدال نسبة إلى همدان و هي قبيلة قحطانية يمانية من كهلان. أنظر المنجد: نفسه، ص 597.

تاريخ الإرسال: 2022/11/18 تاريخ القبول: 2022/12/27 تاريخ النشر: 2022/12/30

[25].جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، بيروت، ط 4، 2001، ج 1، ص 36.

[26].عبد النعيم حسن: دولة السلاجقة، المكتبة الإنجلو مصرية، 1975، ص 18.

[27]. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 2، ص 150.

[28]. الكندي: كتاب القضاة، ص 417.

[29].محمود بن مُحَمَّد العرنوس: تاريخ القضاء في الإسلام، المطبعة المصرية الأهلية (د.ت)، ص 28.

[30].الكندي: نفسه، ص 303.

[31]

[32]. جلال الدين السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1967، ج 2، ص 478.

[33]. حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص 397.

[34].نفسه، ص 397.

[35]. محمود بن مُحَمَّد بن عرنوس: المرجع السابق، ص 30.

قائمة المصادر والمراجع:

– المصادر:

1. القرآن الكريم، برواية ورش لقراءة نافع من طريق أبي يعقوب الأزرق، بالرسم العثماني، خططه، عثمان طه، الطبعة الأولى، دار للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر.

2. ابن ثغري بردي جمال الدين أبو المحاس، (1351هـ/1932م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، القاهرة.

3. الذهبي مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان (2006)، سير أعلام النبلاء، ج7، دار الحديث، القاهرة.

4. الشامي أحمد (1978)، أوراق البردي العربي مصدر أصيل للتاريخ الاسلامي، مجلة المؤرخ العربي، العدد9.

5. القلقشندي أحمد، (1922)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج6، دار الكتب المصرية، القاهرة.

6. السيوطي جلال الدين السيوطي (1967)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة، ج2، دار إحياء الكتب العربية، مصر.

7. الكندي أحمد بن يوسف (1908)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت.

– المراجع:

تاريخ الإرسال: 2022/11/18 تاريخ القبول: 2022/12/27 تاريخ النشر: 2022/12/30

8. أحمد عبد الرزاق أحمد (1999)، تاريخ وآثار مصر الاسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة.
9. أدولف جروهمان (2010)، أوراق البردي العربية، تر، توفيق اسكاروس، ج1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.
10. الدالي عبد العزيز (1989)، البرديات العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة.
11. العرنوس محمود بن مُحَمَّد: تاريخ القضاء في الإسلام، المطبعة المصرية الأهلية (د.ت).
12. بن موسى جميلة (2010)، جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر الاسلامية في ضوء أوراق البردي العربي والكاغد والرق (2-5هـ/8-11م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر2، الجزائر.
13. جواد علي، (2001)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، دار الساقي، بيروت، ط 4.
14. حيدر كامل (1995)، منهج البحث الآثري والتاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت.
15. دل ديورانت (1988)، قصة الحضارة، تر مُحَمَّد بدران، مج1، ج4، دار الجيل، بيروت.
16. رمضان عبد التواب (1985)، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
17. سزكين فؤاد (1991)، تاريخ التراث العربي (مجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم)، تر، مُحَمَّد فهمي حجازي، جامعة مُحَمَّد بن سعود الاسلامية، الرياض.
18. عبد النعيم حسن، (1975)، دولة السلاجقة، المكتبة الإنجلو مصرية.
19. معلوف لويس، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط19.
20. مغاوري سعيد مُحَمَّد (1998)، البرديات العربية في مصر الاسلامية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.
21. مشيرة موسى (2001)، البردي أقدم ورق للكتابة في العالم، مجلة الأهرام، العدد 41946، مصر.
22. ياقوت الحموي (1977)، معجم البلدان، ج5، دار صادر، بيروت.